المحاضرة الثالثة: النظريات المحدثة المفسرة للإنحراف ج1

لتفسير هذا السلوك تعددت وجهات النظر والآراء تبعا للزاوية التي ينظر منها أصحاب تلك الآراء إلى ظاهرة الانحراف، فمنهم من يأخذ بالتفسير الذاتي (الفردي) للانحراف، محاولا البحث في سبب السلوك الإجرامي في داخل الفرد نفسه بحيث يكون محور الدراسة لديهم من مختلف النواحي : البيولوجية، الفيزيولوجية النفسية العقلية ... إلخ. ومنهم من يأخذ بالتفسيرات الاجتماعية ويرجع السلوك الانحرافي إلى الظروف الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية ... إلخ. بينما تعمد مجموعة أخرى إلى الربط بين الاتجاهين السابقين وتكاملهما في تفسير السلوك الانحرافي، وفيما يلي نتطرق إلى بعض من هذه النظرية التفسيرية:

1. النظرية البيولوجية:

يعتبر باحثوا هذه الاتجاه أن التكوين البيولوجي للفرد هو بمثابة المحدد الرئيسي للسلوك، فيستعملون مصطلحات كالتركيب الجسماني، بنية الملامح الخاصة ... إلخ، التفسير السلوك الانحرافي.

فالمجرم ينشأ بحتمية بيولوجية، وسلوكه المضاد للمجتمع ينتقل إليه عن طريق الوراثة من أسلافه، هذا ما أوضحه لمبروزو (Lombroso) الذي يعتبر المؤسسة العلمي لهذا الاتجاه، فلقد قام بوضع نظرية عن المجرم بالفطرة وفكرة الارتداد (العود) التي بناها على أساس أن المجرم ما هو إلا نمط أو نوع معين من أنواع البشر يتميز بملامح عضوية خاصة وسميات خاصة هي نفسها عن الإنسان الأول أو المخلوقات البدائية، حيث وضع لمبروزو مجموعة من الخصائص التي يرى أنها تميز الشخص المحرم عن غيره، والتي تتمثل في بعض السمات في الملامح: كالرأس الضحم والملامح غير المستوية والعدوانية.

وهذا يختصر بالقول أن الجريمة كما يراها لمبروزو: هي استعداد حيواني موروث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الإجرام بحتمية بيولوجية طاغية لا تترك للظروف الاجتماعية والبيئية الحسنة التي يعيشها

الشخص أي مجال لتعديل مسيرته الحتمية نحو ارتكاب الجريمة رغم جهود السلطات المختصة لعلاجها والقضاء على أسباب الوقاية منها.

كما أضيفت دراسات أخرى لباحثين أيدوا إلى حد ما المفهوم العضوي للسلوك الإجرامي **أرنستهوتون Earnest Hooten**حيث قام الباحث بسلسلة من الدراسات العلمية مثل المقارنة مستخدما 668 من المجرمين ومقارنتهم بمجموعة أخرى من غير المجرمين، وقد كشف هوتون بوجه عام أن المجرمون قد لا يتميزون بصفة انحلالية كالتي ذكرها لمبروزو، ولكنهم يتميزون بإنحطاطية بيولوجية جسمية ترجع إلى عامل الوراثة، فهو يرى أن المحرمون يحملون بذور الجريمة والشر، الشيء الذي يضعف قابليتهم على تحقيق التوافق الاجتماعي المطلوب، كما أكد على أنه هناك خصائص مرفولوجية كطول القامة، الوزن... إلى..

ونتيجة للتقدم في مجال علم البيولوجيا فقد حاول بعض الباحثين تفسير السلوك الإجرامي بأنه نتيجة لتلف عضوي في المخ والجهاز العصبي وهو اضطراب وراثي تارة ومرضي تارة أخرى.

ومما سبق تستطيع القول إن الإتجاه البيولوجي هو إتجاه فردي في تفسير السلوك لأن محور الدراسة لديه حيث أن هذا الإتجاه يحاول البحث عن سبب السلوك الإنحرافي في داخل الفر نفسه.

2. النظرية السيكولوجية:

يرى البعض أن هذا الاتجاه هو امتداد البيولوجي مع الاختلاف في النظرة إلى المنحرفين سلوكية إذ يعتبرهم هذا الاتجاه على أنهم أفراد يجب دراستهم ومعاملتهم كأفراد حيث لا يمكن علاج المنحرف إلا باعتباره شخصا في حد ذاته، على عكس الاتجاه البيولوجي الذي يعتبر المنحرف كإنسان حيواني.

وفي إطار هذه النظرية التي يعززها مجموعة من الباحثين على رأسهم عالم النفس النمساوي **فرويد Freud**، فإن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية في البشر، تكون نتيجة صراع مستمر في نفوس بعض

الأشخاص نتائج عن حالات مرضية نفسية والتي تتمثل في الاختلالات الغريزية والعواطف المنحرفة والأمراض النفسية والتخلف النفسي.

فيرى **Freud** أن شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع، أي أن السلوك الإجرامي أو بمعنى آخر الخروج عن القانون، هو في الحقيقة رد فعل انفعالي من الفرد كنتيجة لدوافع فطرية عامة، ورغبات عنيفة خاصة تحتاج إلى الإشباع، بل أنها تلح على الفرد إشباعها. وهذا حسب ثلاثة عناصر وهي:

- ✓ الدوافع ومدى قوته.
- ✓ الوسائل الميسرة لإشباعه سواء كانت عادية أو شاذة.
- ✓ الحالة الانفعالية ومدى شدتها.

وبهذا يظهر الشذوذ الناجم عن عدم القدرة في التحكم بالضغط الحادث من هذا التوتر النفسي

وقد كان أول اتجاه لتفسير السلوك المنحرف الذي ظهر في كتاب "الحدث المنحرف" للطبيب النمساوي **أوجستأكهورن AugustAichhon** الذي كان مدير لإحدى إصلاحيات الأحداث منذ بداية هذا القرن، فحاول تطبيق فرضيات Freud على أحداث تلك المؤسسة التي يعمل بها، فوصف أكهورن أنواعا مختلفة من الأحداث الجانحين ووضع لكل منهم تفسيرا تحليليا معينا، فهناك: الحدث العصبي، العدواني، الحدث الذي لم يطور ذاته العليا... إلخ. وانتهى إلى القول أن هؤلاء الأحداث تنقصهم القدرة على كبت دوافعهم الغريزية، كما وأن بعضهم يعانون من الحرمان الشديد من العطف في حياتهم.!!

وفي دراسة قام بها الباحث **وليا مهيل** لـ 105 من الأحداث الجانحين وعدد مماثل منهم من الأحداث الأسوياء، تبين أن 91% من الأحداث الجانحين يعانون من اضطرابات شديدة في شخصيتهم، إذ يشعرون

بقلق وتعاسة كبيرة بسبب ظروف حياتهم، بينما لا يعاني مثل هذه الأعراض المرضية النفسي سوى 31% من الأحداث الأسوياء. وكنتيجة لبحثه أصر الباحث على أهمية العلاج المبكر للجائح والبحث في تاريخه الأسري المعرفة دلالات لتفسير سلوكه الجانح، وكمتابعة لأفكاره قامت عدة دراسات بينت أنه توجد فروق بين الجانحين وغير الجانحين في مختلف نواحي الشخصية وكذلك في الأنماط السلوكية السائدة لدى كل منهم فالجانحين أكثر شعورا بالنقص وأكثر غرقا في أحلام اليقظة وشعورا بالاضطراب الذي كان أهم مصادره القلق على الأسرة والمستقبل والظروف المعيشية.

ويمكننا القول أن نظريات نفسية قد ساهمت في إمكانية فهم الطبيعة الإنسانية بطريقة أفضل وألقت الضوء على السلوك الإنساني بوجه عام والسلوك المنحرف بوجه خاص.